١٧ ـ محمد بن سيرين

عاد خالد بن الوليد ﷺ من (عين التمر) بعد أن فتحها الله على يديه في السنة الثانية عشرة للهجرة المباركة، بسبي وافر، وكان سيرين في ذلك السبي، وقد ابتاعه أنس بن مالك ﷺ وبات مولى له ثم لم يلبث أن أعتقه، وكان سيرين ماهراً في صنع قدور النحاس التي درَّت عليه الربح الكثير، ولما عزم على الزواج، تقدَّم إلى أبي بكر الصديق ﷺ خاطباً مولاة له، يقال لها «صفية».

وكان من حق الصديق أن يسأل عن الخاطب، ليطمئنَّ على مولاته، ويعلم ما إذا كان الزوج صالحا لها، ووجد أنه خير من يسأله عنه سيده السابق لأنه أعلم من غيره بخلقه ودينه، وهذا هو المعيار لقبول الخاطب أو ردِّه طبقاً لتوجيه خير البرية حيث قال: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه**». ولما سأل الصدِّيق أنساً عن سيرين بارك تلك الخطبة، وتمَّ الزواج، وكان من ثمرته أن رزق الزوجان بمولود سمياه محمداً وكانت ولادته سنة ثلاث وثلاثين، وكني بأبي بكر.

سعيه للعلم:

أراد محمد بن سيرين، أن يشق طريقه في الحياة، ولم يشأ أن يعمل في مهنة أبيه، فصار بزَّازاً يبيع الثياب إلا أنه لم يقف همه ووقته على البيع والشراء، فراح يختلف إلى حلقات العلم التي تعطىٰ في المسجد النبوي الشري. والتقى في المسجد بأكابر الصحابة كعبد الله بن عباس، و«عبد الله بن عمر»، و«أبي هريرة»، و«عبد الله بن الزبير»، و«أنس بن مالك» و«زيد بن ثابت»، و«عمران بن حصين» فسمع منهم، وروى عنهم.

كما لقي عدداً من أجلَّة التابعين الذين يؤمون المسجد المطهَّر، وكانت له معهم مناظرات وحوارات فيها كل مفيدٍ ونافع.

الانتقال إلى البصرة:

ولما كثر تردد اسم «البصرة» على ألسنة أهل العلم، الفقه، شدَّ «ابن سيرين» وأسرته الرحال إليها، وبقي فيها حتى جاءه أجله المحتوم.

وكانت أنوار مسجدها لا تكاد تنطفىء، فالعلماء والفقهاء ومريدوهم لا يغادرونه إلا لماماً، وحلقات الدرس في اتصال لا ينقطع، وفيه وجد «ابن سيرين» الجو الملائم، والتربة الصالحة لنماء فكره، وشحن عقله بعلم مرتاديه، وكان «محمد» وأخوته: «أنس» و«معبد» و«يحيى» و«حفصة» و«كريمة» من التابعين الثقات الأجلَّاء.

وجاء في البداية والنهاية لابن كثير:

وقال البخاري: ولد «محمد» لسنتين بقيتا من خلافة «عثمان».

وقال «هشام بن حسان»: هو أصدق من أدركت من البشر، وقال «محمد بن سعد»: كان ثقة، مأموناً، عالماً، رفيعاً، فقيهاً، إماماً، كثير العلم، ورعاً وكان به صمم.

وقال «مؤرق العجلي»: ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه، وأروع في فقهه منه.

وقال «ابن عون»: كان «محمد بن سيرين» أرجى الناس لهذه الأمة، وأشد الناس إزاراً على نفسه، وأشدَّهم خوفاً عليها.

وقال «ابن عون»: ما بكى في الدنيا مثل ثلاثة: «محمد بن سيرين» في العراق، و«القاسم بن محمد» في الحجاز، و«رجاء بن حيوة» بالشام، وكانوا يأتون بالحديث على حروفه.

وكان «الشعبي» يقول: عليكم بذاك الأصم ـ يعني «محمد بن سيرين» ـ.

وقال «ابن شوذب»: ما رأيت أحداً أجرأ على تعبير الرؤيا منه.

وقال «عثمان البيتي»: لم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه[1].

(١) البداية والنهاية (٩/ ٣١٣ ـ ٣١٤).

ورعه وتقواه:

روى أبو بكر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثني أبي، قال: ثنا روح، قال: ثنا هشام، عن محمد بن سيرين، قال: كان مما يقول للرجل إذا أراد أن يسافر في التجارة: اتق الله تعالى، واطلب ما قدر لك في الحلال، فإنك تطلبه من غير ذلك لم تصب أكثر ما قدِّر لك.

وروى أبو حامد بن جبلة، قال: ثنا محمد بن إسحاق الثقفي، قال: ثنا علي بن مسلم، قال: ثنا روح، قال: ثنا ابن عون، قال: سمعت «محمداً» يقول في شيءٍ راجعته فيه: إني لم أقل لك: ليس به بأس، وإنما قلت لك: لا أعلم به بأساً.

وروى أبو بكر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثني أبي، قال: ثنا عبيد الله بن محمد، قال: سمعت شيخاً يذكر عن «محمد»، قال: وسئل مرةً عن فتيا فأحسن الإجابة فيها، فقال له رجل: والله، يا أبا بكر لأحسنت الفتيا فيها، أو القول فيها.

قال: وعرَّض كأنه يقول: ما كانت الصحابة لتحسن أكثر من هذا، فقال «محمد»: (لو أردنا فقههم لما أدركته عقولنا)، وهكذا عرف قدر نفسه فلم يتعدَّه.

وروى أبو بكر بن خلاد، قال: ثنا محمد بن يونس، قال: ثنا أزهر بن سعد، عن ابن عون، قال: قيل لمحمد بن سيرين: يا أبا بكر! إن رجلاً قد اغتابك فتحله؟ قال: ما كنت لأحِلَّ شيئاً حرَّمه الله.

وعن أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو بكر بن أبي عاصم، قال: ثنا أبو عمير، قال: ثنا ضمرة، قال: قال السري بن يحيى ـ أو غيره ـ لابن سيرين: إني قد اغتبتك فاجعلني في حِلٍّ، قال: إني أكره أن أُحِلَّ ما حرَّم الله تعالى.

وعظه للناس وتأثيره فيهم:

لم تكن موعظة «ابن سيرين» للناس قاصرة على من يحضرون دروسه في المسجد فحسب، وإنما كان يذكِّر الناس ويعظهم ليلاً ونهاراً، وهم في أسواقهم يبيعون ويشترون، ويدعوهم إلى التقرُّب إلى الله، وإيثار الدار الباقية، وهي الآخرة، على الدار الفانية، وهي الدُّنيا.

كان تأثيره في نفوسهم شديداً، حتى أنهم كانوا إذا رأوه على حسن غرَّة، قد غفلوا عن بَعْض ما أمر به الله، انتبهوا من غفلتهم، والتمسوا الصواب، وذكروا الله.

وفي هذا بيان وبرهان على مدى ثقتهم به، واحترامهم له، وعلوِّ مكانته.

وكان «محمد بن سيرين» إذا ذكر عنده رجلٌ بسوء ذكره بأحسن ما يعلم.

وقال يونس: ما عرض لمحمد بن سيرين أمران، إلا أخذ بأوثقهما في دينه.

وقد روى أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثني أبي، قال: ثنا أسود بن عامر، قال: ثنا عن حبيب، عن ابن سيرين، قال: إذا أراد الله تعالى بعبدٍ خيراً جعل له واعظاً من قلبه يأمره وينهاه.

وقال أبو بكر بن مالك: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثني أبي قال: ثنا ابن علية، عن أيوب، قال: كان «محمد بن سيرين» يقول: لا تكرم أخاك بما يشق عليك.

وأنكر قول بعض الناس أن منهم مَنْ يصعق لسماع القرآن، فقد روى أبو محمد بن حيان، قال: ثنا محمد بن العباس، قال: ثنا زياد بن يحيى، عن عمران بن عبد العزيز، قال: سمعت «محمد بن سيرين» وسئل عمَّن يسمع القرآن فيصعق، قال: ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيُقرأ عليهم القرآن من أوَّله إلى آخره، فإن سقطوا فهم كما يقولون.

لقد وهب الله لابن سيرين هدياً وسمتا تركا له تأثيراً بالغاً في النفوس، وقبولاً لما يقول، ولهذا كانوا يحكِّمونه فيما يشجر بينهما من خلاف، ولا ينكرون ما يصدره من حكم، لثقتهم بعدله وإنصافه. فأيَّ رجلٍ كان؟

تنفيذه وصية أنس:

كان «أنس بن ملك» خادم رسول الله ﷺ وصاحبه محباً لابن سيرين، ولما حضرته الوفاة أوصى ﷺ أن يغسِّله «محمد بن سيرين»، ولما مات «أنس» التمسوا «ابن سيرين» ليغسِّله، فقيل لهم: إنه في سجن البصرة، في دَيْنٍ عليه لأحد الناس، فاستأذنوا والي البصرة في إخراجه من السجن لإنفاذ وصية صاحب رسول الله ﷺ، وعوته بعد فراغه منها، فأذن لهم، وحين جاؤوا إلى السجن

وقالوا له: لقد استأذنا الأمير في إخراجك، فأي ردٍّ ردَّ به عليهم «ابن سيرين»؟! لقد أجابهم بقوله: إن الأمير لم يحبسني، إنما حبسني من له الحق، فذهبوا إلى صاحب الحق، فأذن في خروجه، فخرج، وغسَّل «أنساً» رحمه الله تعالى، ثم عاد إلى محبسه، دون أن يمرَّ بأهله، وفاءً بالوعد الذي قطعه، وورعه الذي عرف به.

أجر اتباع الجنازة:

وقال يحيى بن عتيق: قلت لمحمد بن سيرين: الرجل يتبع الجنازة لا يتبعها حسبة يتبعها حياءً من أهلها، له في ذلك أجر؟ قال: أجرٌ واحد، بل له أجران أجر الصلاة على أخيه، وأجرٌ لصلته الحي[١].

خشيته من الله:

وروى أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: ثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: ثنا الأشعث، قال: كان «محمد بن سيرين» إذا سئل عن شيءٍ من الفقه «الحلال والحرام» تغيَّر لونه وتبدَّل، حتى كأنه ليس بالذي كان[١].

وروى أبو بكر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني الحسن بن عبد العزيز، قال: كتب إلينا ضمرة، عن رجاء بن أبي سلمة، عن ابن عون، قال: بعث «ابن هبيرة» إلى «ابن سيرين» فقدم عليه، فقال: كيف تركت أهل مصرك؟ قال: تركتهم والظلم فيهم فاشٍ، قال ابن عون: كان يرى أنها شهادة يُسأل عنها فكره أن يَكتمها.

وروى محمد بن علي، قال: ثنا عبد الله بن الحسين بن معبد، قال: ثنا عبد الله بن سعيد الأشج، قال: ثنا المجاربي، عن جعفر بن مرزوق، قال: بعث «ابن هبيرة» إلى «ابن سيرين» و«الحسن» و«الشعبي» قال: فدخلوا عليه، فقال لابن سيرين:

يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قربت من بابنا، قال: رأيت ظلماً فاشياً، قال: فغمزه ابن أخيه بمنكبه، فالتفت إليه «ابن سيرين»، فقال: إنك لست تُسْأَل، إنما أنا أُسْأَل، فأرسل إلى «الحسن» بأربعة آلاف، وإلى «ابن سيرين» بثلاثة آلاف،

(١) الحلية (٢/ ٢٦٤).

وإلى «الشعبي» بألفين، فأما «ابن سيرين» فلم يأخذها[١].

استغفاره من الغيبة:

روى أحمد بن جعفر، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثني أبي، قال: ثنا أسود بن عامر، قال: ثنا جرير بن حازم، قال: سمعت «محمد بن سيرين» وقال لي: رأيت ذلك الرجل الأسود، ثم قال: أستغفر الله، ما أرانا إلا قد اغتبناه[٢].

رفضه ترويع المسلم:

روى عبد الله بن أحمد، قال: ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، قال: ثنا جعفر بن عامر البزار، قال: ثنا أحمد بن عبد المجيد، قال: ثنا حماد بن زيد، عن ابن عون، قال: كان لابن سيرين منازل لا يكريها إلا من أهل الذمة، فقيل له في ذلك، قال: إذا جاء رأس الشهر رُعْتُهُ وأكره أن أُرَوِّعَ مسلماً[٢].

ما يصنعه عند الوليمة

روى أحمد بن جعفر، قال: ثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: ثنا موسى بن هلال، قال: سمعت هشام بن حسان يذكره، قال: كان «ابن سيرين» إذا دعي إلى وليمة أو إلى عرس، يدخل منزله فيقول: اسقوني شربة سويق، فيقال له: يا أبا بكر! أنت تذهب إلى الوليمة أو إلى العرس تشرب سويقاً؟ قال: إني أكره أن أحمل حر جوعي على طعام الناس[٣].

وروى أبو حامد بن جبلة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا أحمد بن منصور، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا مرة بن خالد، قال: أكلت من بيت «محمد بن سيرين» طعاماً، فلما شبعت أخذت المنديل ورفعت يدي، فقال لي محمد: إن الحسن بن علي ﷺ قال: (الطعام أهون من أن يقسم عليه). وقال أبو بكر بن خلاد: ثنا محمد بن يونس، قال: ثنا أزهر بن سعيد، قال: ثنا ابن عون، قال: دخلت على «محمد بن سيرين» وبين يديه شهدة، فقال: هَلُمَّ فكل،

(١) الحلية (٢/ ٢٦٨).
(٢) الحلية (٢/ ٢٦٨).
(٣) الحلية (٢/ ٢٦٧).

فإن الطعام أهون من أن يقسم عليه).

وروى أحمد بن جعفر بن معبد، قال: ثنا يحيى بن مطرف، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا أبو خلدة، قال: دخلت على «محمد بن سيرين» أنا و«ابن عون» و«سهم الفرائضي» فقال: ما أدري ما أتحفكم به، كلكم في بيته خبزٌ ولحم، فقدَّم إلينا شهدة، وجعل يقطع لنا بيده ونأكل.

وعن سليمان بن أحمد، قال: ثنا علي بن عبد العزيز، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا أبو خلدة، قال: دخلنا على «محمد بن سيرين»، فقال: ما أدري ما أتحفكم به، كلَّكم في بيته خبزٌ ولحم، يا جارية! هاتِ تلك الشهدة، فجاءت بها، فجعل يقطع ويأكل ويطعمنا.

وعن سليمان بن أحمد، قال: ثنا عبد الله بن وَهْب الغزي، قال: ثنا محمد بن أبي السري، قال ضمرة: عن رجاء بن أبي سلمة، عن ابن عون، قال: كان في أهل «ابن سيرين» فرح، فأتاهم «فرقد السبخي» يهنِّئهم، فأتوه بخبيص فأبى أن يأكله، فأتوه بسمن وعسل وخبز نقي، فجعل يأكل، فقال «ابن سيرين»: وهل الذي تركت إلا هذا الذي تأكله؟[1].

وعن محمد بن إسحاق، قال: ثنا علي بن مسلم، قال: ثنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، عن أبيه، قال: دخلت على «ابن سيرين» في يوم حار، فرأى في وجهي اللَّغَب ـ أي: التعب ـ، فقال: جارية! هاتِ لحبيب غَداء، هاتِ، هاتِ، حتى قال ذلك مراراً، قلنا: لا أريده.

قال: هاتِ، فلما جاءت به، قلنا: لا أريده، قال: كل لقمة، وأنت بالخيار، فلما أكلت لقمة نَشِطتُ، فأكلت حتى شبعت.

وروى إبراهيم بن حبيب، عن هشام، قال: كان آل «ابن سيرين» [ما] يدخل عليهم داخلٌ إلا قرَّبوا له طعاماً حتى إذا كان آخراً، وخفَّت حالهم، كانوا يشترون من ذلك البسر المطبوخ أو المغلي، فإذا دخل داخلٌ قدَّموا إليه من ذلك البسر[2].

(١) الحلية (٢/ ٢٦٩).
(٢) الحلية (٢/ ٢٧٠).

وروى عثمان بن محمد العثماني، قال: ثنا أبو روق، قال: ثنا عبد الله بن الفضل، قال: ثنا الأصمعي، عن ابن عون، عن محمد بن سيرين: أنه حين ركب الدين خفَّف مطعمه، حتى كنت آوي إليه، وكان أكثر ما يُأْتَدِمُ به السمك الصغار.

رجاء الموحدين:

روى أبو حامد بن جبلة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا عمرو بن زرارة، وحدَّثنا أبو محمد بن حيان، قال: ثنا إبراهيم بن الحسن، قال: ثنا يعقوب الدورقي، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا ابن عون، قال: ما رأيت أحداً أعظم رجاءً للموحدين، من «محمد بن سيرين» كان يتلو هذه الآيات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥] ويتلو: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٣] ويتلو: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦﴾ [الليل: ١٥ ـ ١٦] لفظ يعقوب[1].

روى محمد بن علي، قال: ثنا أحمد بن علي بن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد بن يزيد، قال: سمعت «الفضيل بن عياض» يقول: قال «الحسن» إنما هي طاعة الله أو النار، وقال ابن سيرين: إنما هي رحمة الله أو النار.

وقال أبو بكر بن خلاد، قال: ثنا محمد بن يونس، قال: ثنا أزهر بن سعد، قال: ثنا ابن عون، عن محمد، قال: كانوا يرجون في الموقوف حتى الحمل في بطن أمه.

وعن محمد بن إسحاق، قال: ثنا أحمد بن يحيى بن نصر، قال: ثنا عبيد الله بن معاذ، قال: ثنا أبي، قال ابن عون: قال: قرأ رجل عند «محمد بن سيرين»: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٦٠]. فقال «محمد»: لا نعلم شيئاً أرجى للمنافقين من هذه الآية، ما علمناه أغري بهم حتى مات ﷺ[1].

سبب الغم:

وعن أبي بكر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: ثنا إبراهيم بن حسن الباهلي، قال: ثنا حماد بن زيد، عن ابن عون، عن محمد بن

(١) الحلية (٢/ ٢٧٠).

سيرين: أنه لما ركبه الدين اغتمَّ لذلك، فقال: إني لأعرف هذا بذنبٍ أصبته منذ أربعين سنة.

وروى عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: ثنا عمر بن بحر الأسدي، قال: سمعت أحمد بن أبي الحواري، يخبر عن عبد الله بن السري، قال: قال ابن سيرين: إني لأعرف الذنب الذي حمل عليَّ به الدَّيْن ما هو، قلت لرجل من أربعين سنة: يا مُفلس![1].

وذكر هذا لأبي سليمان الداراني، فقال: قلَّت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون، وكثرت ذنوبنا فلم نَدْرِ من أين نؤتى.

عبادته:

قال مخلد بن جعفر، قال: ثنا جعفر الفرياني، قال: ثنا قتيبة بن سعيد، قال: ثنا حماد بن زيد، عن أنس بن سيرين، قال: كان لمحمد بن سيرين سبعة أوراد يقرؤها من الليل، فإذا فاته منها شيء قرأه من النهار.

وعن أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: ثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني نصر بن علي، قال: ثنا بشر بن عمر، قال: حدَّثتني أم عباد امرأة «هشام بن حسان»، قالت: كنا نزولاً مع «محمد بن سيرين» في داره، فكنا نسمع بكاءه بالليل، وضحكه بالنهار.

وروى أبو حامد بن جبلة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، ثنا خليفة بن خياط، قال: ثنا سيدان، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: سمعت أبا عوانة، قال: رأيت «محمد بن سيرين» في السوق، فما رآه أحداً إلا ذكر الله تعالى.

وقال أبو بكر بن مالك، ثنا: عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني نصر بن علي، قال: حدَّثني موسى بن المغيرة، قال: رأيت «محمد بن سيرين» يدخل السوق نصف النهار يكبِّر ويسبِّح ويذكر الله تعالى، فقال له رجل: يا أبا بكر! في هذه الساعة؟ قال: إنها ساعة غفلة.

وروى أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو بكر بن أبي عاصم، قال: ثنا

(١) الحلية (٢/ ٢٧١) والبداية والنهاية (٩/ ٣٢١).

محمد بن يزيد، قال: ثنا وَهب بن جرير، قال: ثنا أبي، قال: كان الرجل إذا سأل «ابن سيرين» عن الرؤيا، قال له: اتق الله في اليقظة لا يضرَّك ما رأيت في المنام.

وعن محمد بن سيرين قال: رأيت جليساً لي في المنام فإذا ساقاه من ذهب، فقلت له: ما صنع الله بك؟ فقال: غفر لي وأدخلني الجنة، وأبدلني بدل ساقيَّ ساقين من ذهب أسرح بهما في الجنة حيث شئت، قلت: بماذا؟ قال: بعزل الأذى عن الطريق[١].

برّه بأمّه:

كان «ابن سيرين» شديد البرِّ بأمه «صفية» وقد روى حبيب بن الحسن قال: ثنا علي بن الحسن القطان، قال: ثنا محمد بن زياد الزيادي، قال: ثنا حماد بن زياد، عن هشام بن حسام، قال: حدَّثني بعض آل سيرين، قال: ما رأيت «محمد بن سيرين» يكلِّم أمه قط، إلا وهو يتضرَّع.

وروى أبو بكر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدَّثني أبي، قال: ثنا إسماعيل، عن ابن عون، قال: دخل رجل على «محمد» وهو عند أمه، فقال: ما شأن محمداً؟ أيشتكي شيئاً؟ قالوا: لا، ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه[٢].

من أقواله الفذّة:

قال «ابن سيرين»: العزلة عبادة[٣]

وروى جعفر بن محمد بن نصر في كتابه، وحدَّثني عنه أبو عمرو العثماني، قال: ثنا أبو العباس بن مسروق، قال: ثنا محمد بن سنان، قال: ثنا عمر بن حبيب، عن ابن عون، قال: سمعت «محمد بن سيرين» يقول: ثلاثة ليس معهم غربة: حسن الأدب، وكف الأذى، ومجانبة الريب[٤].

---

(١) الحلية (٢/ ٢٧٣).
(٢) الحلية (٢/ ٢٧٣).
(٣) البداية والنهاية (٩/ ٣٢٢).
(٤) الحلية (٢/ ٢٧٦).

وعنه أن رجلاً رأى في المنام كأنَّ في حجره صبياً يصبح، فقصَّ رؤياه على «ابن سيرين» فقال: اتَّق الله ولا تضرب العود.

وإضافةً إلى علمه وفقهه عرف «ابن سيرين» بتفسيره للأحلام، وله كتاب بهذا الصدد اسمه «منتخب الكلام في تفسير الأحلام».

وفاته:

عاش «ابن سيرين» عمراً مديداً بلغ السابعة والسبعين حفَّها الورع والتُّقى والزهد والخشية من الله، وفي البصرة وافته المنية سنة عشر ومائة للهجرة، رحمه الله.

obeikandl.com

١٨ ـ مسروق بن الأجدَع

جاء في «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني، في ترجمته لمسروق:

[قال الشيخ رحمه الله: ومنهم العالم بربِّه، الهائم بحبِّه، الذاكر لذنبه، في العلم معروف، وبالضمان موثوق، ولعباد الله معشوق، «أبو عائشة» المسمَّى بمسروق، وهو «مسروق بن عبد الرحمٰن الهمداني الكوفي»][(١)].

وجاء في «تقريب التهذيب» لابن حجر العسقلاني: [١٠٥٥ـ مسروق بن الإجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة، الكوفي، ثقة، فقيه، عابد، مخضرم، من الثانية، مات سنة اثنتين، ويقال: سنة ثلاث وستين][(٢)].

وجاء في «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي: [ولقي «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه «مسروق بن الأجدع»، فقال له: من أنت؟ قال: «مسروق بن الأجدع» قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**الأجدع شيطان**»][(٣)].

ولعل «الأجدع» لقب «عبد الرحمن الهمداني» والد «مسروق»، وأغلب كتب الفقه تسمِّيه «مسروق بن الأجدع».

و«مسروق» أحد فقهاء التابعين، ورواة الحديث المشهورين.

فضل سورة الواقعة:

روى عبد الله بن محمد بن حميد، ثنا محمد بن شبل، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا عبيدة بن حميد، عن منصور، عن هلال بن يَساف، قال: قال مسروق: من سرَّه أن يعلم علم الأولين، وعلم الآخرين، وعلم الدنيا والآخرة، فليقرأ سورة الواقعة[(٤)].

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ٩٥).
(٢) تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٢).
(٣) العقد الفريد (٢/ ٣٠١).
(٤) الحلية (٢/ ٩٥).

صلاته:

روى أبو حامد، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا يوسف بن موسى، ثنا عبد الرحمٰن بن مغراء، أخبرنا الأعمش، عن أبي الضحى، قال: كان «مسروق» يقوم فيصلي كأنه راهب، وكان يقول لأهله: هاتوا كل حاجة لكم، فاذكروها لي قبل أن أقوم إلى الصلاة.

يعني أنه يقضي لأهله حاجاتهم قبل أن يشرع في الصلاة، حتى لا ينصرف بفكره عن الصلاة، وهو واقف بين يدي الله، إلى مطالب أهله ولوازم معيشتهم.

وروى أبو حامد بن جبلة أيضاً، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا هنَّاد بن السري، ثنا أبو خالد الأحمر، عن مسعر، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، قال: كان «مسروق» يرخي الستر بينه وبين أهله، ويقبل على صلاته، ويخليهم ودنياهم[1].

ولما كانت الصلاة صلة بين المرء وربِّه، فإن «مسروقاً» كان قبل أن يسعى لإقامة هذه الصلة، يقطع كل صلة له بالأغيار، ويُفرِّغ نفسه لمناجاة العزيز الجبار.

وكان توَّاقاً إلى زيادة التقرُّب إلى الله تعالى، لهذا كان يكثر من السجود بين يديه، ولا يمل من زيادة التضرُّع إليه، وقال «مسروق»: أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى وهو ساجد.

وقد روى محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا علي بن المديني، ثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، قال: لقيني «مسروق» فقال: يا سعيد! ما بقي شيء يرغب فيه إلا أن نعفِّر وجوهنا في التراب.

بين شريح ومسروق:

حين مرض «زياد بن سمية» دخل عليه «شريح بن الحارث» القاضي ليعوده، فلما خرج من عنده، أراد «مسروق بن الأجدع» أن يعرف حاله، فأرسل إلى «شريح» يسأله: كيف تركت الأمير؟ فقال «شريح»: تركته يأمر وينهي.

---

(١) الحلية (٢/٩٦).

فقال «مسروق» إن «شريحاً» صاحب تعريض فاسألوه، فسألوه، فقال: تركته يأمر بالوصية، وينهى عن البكاء[١].

يقضي بغير أجر:

ومن غريب أخبار «مسروق بن الأجدع» أنه كان يمارس القضاء بين الناس دون أن يتقاضى أجراً على عمله.

فقد روى محمد بن علي، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا علي بن الحوراء، ثنا شعبة، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن مسروق: أنه كان لا يأخذ على القضاء أجراً، ويتأوَّل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٢] [التوبة: ١١١].

احتقاره للدُّنيا:

لم تكن الدنيا تعني شيئاً لابن الأجدع، كما أنه لم يكن من طلاَّبها، أو اللاهثين وراء متاعها، لذلك كان حرصه متجهاً إلى التزوُّد بزاد يبلِّغه إلى مقعد الصدق الذي ذكره الله تعالى في تنزيله العزيز، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ ـ ٥٥].

وهذا الزاد هو التقوى، كما بيَّنه رب العزَّة حيث قال: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقد روى أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا الفضل بن سهل، ثنا محمد بن بشر، ثنا مِسعَر، عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن المنتشر، قال: كان مسروق يركب كل جمعة بغلة ويحملني خلفه، ثم يأتي كناسة بالحيرة قديمة فيحمل عليها بغلته يقول: الدنيا تحتنا.

وروى القاضي أبو أحمد، محمد بن أحمد بن إبراهيم ـ في كتابه ـ قال: ثنا محمد بن كنانة، قال: ثنا محمد بن أيوب، أخبرنا سعيد بن منصور، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن، ثنا حمزة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، قال:

بلغني أن مسروقاً أخذ بيد ابن أخٍ له، فارتقى به على كناسة بالكوفة، وقال:

---

(١) العقد الفريد (٢/ ٤٦٧).

(٢) الحلية (٢/ ٩٦).

ألا أريك الدنيا؟ هذه الدنيا أكلوها فأفنوها، لبسوها فأبلوها، ركبوها فأنضوها، سفكوا فيها دماءهم واستحلُّوا محارمهم وقطَّعوا فيها أرحامهم[١].

وعن عبد الله بن محمد، ثنا محمد بن شبل، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا وكيع، عن مسعر، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن مسروق، قال: ما من شيءٍ خيرٌ للمؤمنين من لحدٍ، قد استراح من هموم الدنيا، وآمن من عذاب الله.

وعن أبي محمد بن حيان، ثنا عبد الرحمٰن بن محمد بن سالم، ثنا هناد بن السري، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن مسلم ـ أو غيره ـ عن مسروق، قال: إني أحسن ما يكون ظناً حين يقول لي الخادم، ليس في البيت قفيز ولا درهم، رواه الثوري عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة عن مسروق[١].

حواره مع امرأته:

أفرط «مسروق» في عبادته، و[قيل له: يا مسروق! لقد أضررت ببدنك، قال: كرامته أريد.

وقالت له امرأته «فيروز» لما رأته لا يفطر من صيام، ولا يفتر عن صلاة: ويلك، يا مسروق! أما يعبد الله غيرُك؟ أما خلقت النار إلا لك؟ قال لها: (ويحك يا فيروز! إن طالب الجنة لا يسأم، وهارب النار لا ينام)][٢].

أجل! أجل! إن مهر الجنة لغال، ولن يقدر عليه إلا من أسهر ليله، وأظمأ نهاره من الرجال، وأُتي به يوم اللقاء مع الكبير المتعال، وسجله مزدان بأفضل الأعمال.

وقال أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن عقبة، قال: سمعت الأصمعي يقول: كان «مسروق» يتمثَّل:

ويكفيك مما أغلق الباب دونه ... وأرخى عليه الستر ملح وجردق
وماء فرات بارد ثم تغتدي ... تعارض أصحاب الثريد الملبق
تجشأ إذا ما هم تجشوا كأنما ... غذيت بألوان الطعام المفتق[٣]

(١) الحلية (٢/ ٩٦ ـ ٩٧).
(٢) العقد الفريد (٣/ ١٦٨).
(٣) الحلية (٢/ ٩٧).

الثريد الملبق: الملين بالدسم، والطعام المفتق: الكثير الخسيب.

إسناد مسروق:

قال «أبو نعيم» في حليته: أسند مسروق من المسانيد ما لا يعدُّ كثرة، فمن غرائب حديثه، ما حدثناه عبد الله بن جعفر قال: ثنا يونس بن حبيب، قال: ثنا داود، قال: ثنا قيس بن أبي حصين، عن يحيى بن وثاب، عن مسروق، عن عبد الله، يرفعه إلى النبي ﷺ، قال: «**إن الخبيث لا يكفِّر السيء، ولكن الطيِّب يكفِّر السيء**»(١).

حدَّثنا محمد بن جعفر بن الهيثم، قال: ثنا جعفر بن محمد الصائغ، قال: ثنا عفان، قال: ثنا عاصم بن بهدلة، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، والفرج يزني**»(٢).

وروى «مسروق» عن أم المؤمنين عائشة ﷺ وكان إذا ما روى عنها يقول: (حدَّثتني الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، البريئة المبرَّأة).

الخشية من الله:

وقال أبو بكر الصلحي، ثنا الحسين بن جعفر القتات، ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، ثنا زائدة، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله(٣).

نسيج وحده:

كان «مسروق بن الأجدع» نسيج وحده في عبادته، فقد روى محمد بن علي ثنا عبد الله بن محمد، ثنا علي بن الجعد، ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال:

حجَّ «مسروق» فما بات إلا ساجداً.

وأن أبي حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا أبو همام، ثنا أبو

(١) الحلية (٢/ ٩٧).
(٢) الحلية (٢/ ٩٨).
(٣) الحلية (٢/ ٩٥).

ضمرة، عن العلاء بن هارون، قال: سمعته يقول: حجَّ «مسروق» فما افترش إلا جبهته حتى انصرف[١].

رأي الشعبي فيه:

روى محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا سعيد بن عمرو، ثنا سفيان بن عيينة، عن أيوب الطائي، قال: سألت «الشعبي» عن مسألة، فقال: ما رأيت أحداً أطلب للعلم في أفق من الآفاق من «مسروق».

وروى محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا محمد بن عثمان، ثنا عبيد بن يعيش، ثنا يحيى بن آدم، ثنا عبد السلام، عن أبي خالد الدالاني، عن الشعبي، قال:

خرج «مسروق» إلى البصرة، إلى رجل يسأله عن آية، فلم يجد عنده فيها علماً، فأخبر عن رجل من أهل الشام، فقدم علينا هٰهنا، ثم خرج إلى الشام إلى ذلك الرجل في طلبها[١].

لقد أخلص «مسروق» ذلك العابد الصالح دينه للَّه طيلة حياته ولم يفرِّط في جنب الله، واتقاه حق تقواه، وحين أنَّبته امرأته على كثرة صلاته وصيامه، لم يلق لكلامها بالاً، ولم يحد عن نهجه في عبادته حتى لقي وجه ربِّه.

وأما حق أهله فقد رعاه، وكان يسألهم عن حاجتهم قبل أن يدخل في صلاته، ليخلص قلبه وعقله للَّه، ولا يشتغل بسواه.

ولما وافاه الأجل، ترك الدنيا لأهليها، بعد أن قضى حياته زاهداً بما فيها، معرضاً عن زخارفها ومغرياتها، ولم يمد عينيه إلى ما متَّع الله به أهلها من زينتها، فكسب بذلك رضاهم ومحبتهم، ولو رغب بما في أيديهم لكانوا له كارهين.

ورحل «مسروق» راضياً مرضياً رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) الحلية (٢/ ٩٥).

١٩ ـ محمد ابن الحنفية ابن علي بن أبي طالب

وصفه صاحب الحلية «أبو نعيم الأصفهاني بـ :[الإمام اللبيب، ذو اللسان الخطيب، الشهاب الثاقب، والنصاب العاقب، صاحب الإشارات الخفية، والعبارات الجلية، أبو القاسم محمد بن الحنفية][(١)].

نسبه:

كان رسول الله ﷺ قد قال: «**تسمَّوا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي**»[(٢)]، بَيْدَ أن «علي بن أبي طالب» ابن عم رسول الله ﷺ وخَتَنَه ـ صهره ـ على ابنته «فاطمة الزهراء» رضي الله عنها، استأذنه قبل وفاته، إذا ما رزق بولد أن يسميه باسمه، ويكنيه بكنيته، فأَذِنَ منه، وتلك رخصة منه ﷺ خصَّ بها أبا الحسنين رضي الله عنهما.

وبعد وفاة «الزهراء» رضي الله عنها، نكح «عليٌّ» رضي الله عنه امرأة من بني حنيفة، يقال لها: «خولة بنت جعفر بن قيس» فولدت له غلاماً سمَّاه «محمداً» وكنَّاه «أبا القاسم»، وعرف بين الناس بابن الحنفية، تمييزاً بينه وبين أخويه من سيدة النساء (فاطمة الزهراء)، الحسن والحسين رضي الله عنهم.

فما ظنك بهذا الغلام؟ وأبوه «علي» فارس الإسلام، ومالك ناصية الكلام، وخير من حمل الحسام، بعد رسول الأنام!.

إن مما لا ريب فيه أنه سينهل من معين أبيه الفصاحة والبيان، ومن فروسية قراع الأشاوس الشجعان، حتى أمسى رفيقه في جهاده، ومَحَطَّ ثقته واعتماده، وكان يحمل راية أبيه يوم صفين، الذي قتل فيه الكثير من المسلمين.

وأخذ «ابن الحنفية» وعلى نفسه العهد ألَّا يلتقي مسلماً بسيفه بعد ذلك اليوم الحزين.

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ١٧٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٥).

وامتدَّت يد غادرة لئيمة إلى أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب»، وهو قاصد المسجد لصلاة الغداة فقتله «عبد الرحمٰن بن ملجم» أحد رجال الخوارج، وفقد «ابن الحنفية» الركن الشديد الذي كان يأوي إليه، وابتعدت عنه اليد الحانية التي تحنو عليه.

منع ابن الزبير دخول مكة:

أخرج «أبو نعيم» في حليته: [حدَّثنا أحمد بن محمد عبد الوهاب، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا حاتم بن الليبب، ثنا هوذة بن خليفة، ثنا عوف الأعرابي، عن ميمون، عن وردان، قال: كنت في العصابة الذين ابتدروا إلى «محمد بن علي ابن الحنفية» وكان «ابن الزبير» منعه أن يدخل مكة حتى يبايعه، فأبى أن يبايعه، وأراد الشام أن يدخلها فمنعه عبد «الملك بن مروان» حتى يبايعه، فأبى فسرنا معه، ولو أمرنا بالقتال لقاتلنا معه، فجمعنا يوماً فقسَّم لنا فيئاً يسيراً، ثم حَمِدَ الله تعالى، فأثنى عليه، وقال:

الحقوا برحالكم واتقوا الله، وعليكم بما تعرفون، ودعوا ما تنكرون، وعليكم أنفسكم، ودعوا أمر العامة، واستقرُّوا على أمرنا كما استقرَّت السماء والأرض، فإن أمرنا إذا جاء كان كالشمس الضاحية][1].

كتاب «علي» لولده :

وكان «علي بن أبي طالب» قد كتب كتاباً إلى ولده، ذكره «ابن عبد ربه» في «عقده» جاء فيه: [وكتب ـ أي: علي بن أبي طالب ـ إلى ابنه «محمد ابن الحنفية»: أن تفقه في الدين، وعَوِّد نفسك الصبر على المكروه، وَكِلْ نفسك في أمورك كلها، إلى الله عَزَّ وجَلَّ، فإنك تكِلُها إلى لَهف[2]. وأخلص المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان، وأكثر الاستخارة له، واعلم أن من كانت مطيتُه الليل والنهار، فإنه يُسَارُ به وإن كان لا يسير، فإن الله تعالى قد أبى إلا خراب الدنيا وعمارة الآخرة، فإن قدرت أن تزهد فيها زهدك كله فافعل ذلك، وإن كنت غير قابل نصيحتي إياك، فاعلم علماً يقيناً أنك لن تبلغ أملك، ولن تعدو أجلك، وأنك في سبيل من كان قبلك، فأكرم نفسك عن كل دنيَّة، وإن ساقتك إلى

( ) الحلية (٣/ ١٧٤).

( ) في سائر الأصول (إلى كاف).

الرغائب، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً، وإياك أن تُوجفَ ـ أي: تسرع ـ بك مطايا الطمع، وتقول: متى ما أُخِّرتُ نزعتُ، فإن هذا أهلك من هلك قبلك، وأمسك عليك لسانك، فإن تلافيك ما فرط من صمتك، أيسر عليك من إدراك ما فات من منطقك، واحفظ ما في الوعاء، بشد الوكاء، فحسن التدبير مع الاقتصاد، أبقى لك من الكثير مع الفساد، والحُرْفَة ـ الضيق والإقلال ـ مع العضة، خير من الغنى مع الفجور، والمرء أحفظ لسرِّه، ولربما سعى فيما يضره، وإياك والاتكال على الأماني، فإنها بضائع النوكى[1]، وتثبَّط عن الآخرة والأولى. ومن خير حظ الدنيا القرينُ الصالح، فقارِنْ أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشر تبِنْ عنهم، ولا يَغْلِبَنَّ عليك سوء الظن، فإنه لن يدع بينك وبين خليل صلحاً، أَذْكِ قلبك بالأدب، كما تُذْكى النار بالحطب، واعلم أن كفر النعمة لؤم، وصحبة الأحمق شؤم.

ومن الكرم منع الحُرَم، ومن حَلُم ساد، ومن تفهَّم ازداد، امحص أخاك النصيحة، حسنة كانت أو قبيحة، لا تعدم أخاك على ارتياب، ولا تَقْطعه دون استعتاب، وليس جزاء من سَرَّك أن تسوءه، الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك، واعلم يا بني! أن ما لك من دنياك إلا ما أصلحت به من مَثْواك، فأنفقْ من خيرك، ولا تكن خازناً لغيرك، وإن جَزِعت على ما يُفلت من يديك، فاجزع على ما لم يصل إليك. ربما أخطأ البصير قصده، وأبصر الأعمى رشده: ولم يهلك امرؤ اقتصد، ولم يفتقر من زهد. من ائتمن الزمان خانه، ومن تعظَّم عليه أهانه.

رأس الدين اليقين، وتمام الإخلاص اجتناب المعاصي، وخير المقال ما صَدَّقته الفِعال، سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار، واحمل لصديقك عليك، واقبل غدر من اعتذر إليك، وأَخِّر الشر ما استطعت، فإنك إذا شئت تعجَّلته، لا يكن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته، وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان.

لا تُمَلِّكَن المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها، فإن المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة، فإن ذلك أدوم لحالها، وأرخى لبالها، واغْضُض بصرها بسترك،

(١) النوكى: جمع الأنوك، وهو الأحمق.

واكففها بحجابك، وأكرم الذين بهم تصول، وإذا تطاولت بهم تطول.

اسألِ الله أن يلهمك الشكر والرشد، يقوِّيك على العمل بكل خير، ويصرف عنك كل محذور برحمته، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته][1].

ما أعظمها من رسالةٍ فريدة، حافلة بالحكم والمواعظ الرشيدة! تهدي من تدبَّرها إلى شاطىء الأمان، وتجنِّبه وساوس ونزغات الشيطان، وتبلِّغه رضاء الرحمٰن.

ألم يقل رسول الله ﷺ: «**أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها**»؟ لقد عَلَّم الله رسوله الأميَّ ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيماً، وكان «عليٌّ» رضي الله عنه أول من آمن به وصدَّقه واتَّبع هداه، فلا غرو أن يجود عليه ببعض ما علَّمه الله، فهو ابن عمِّه وأخوه وربيبه، وزوج ابنته أحب الخلق إليه، وأحناهن عليه!.

لقد حَلَبَ «عليٌّ» الدهر أشطره، وعَجَم عيدان الزمن، ولقي خيار الناس وشرارهم، وعانى منهم ما عانى، فحنكته التجارب، وصقلته الخطوب، وهذه رسالته خير شاهد وبرهان.

عبد الملك يكتب لابن الحنفية:

كتب الخليفة «عبد الملك بن مروان» إلى «محمد بن الحنفية» عهداً يسمح بدخوله مع أصحابه الأرض التي تقع تحت حكمه، وقد أخرج «أبو نعيم» في حليته: [حدَّثنا محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا حاتم بن الليث الجوهري، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا أبو عوانة، عن أبي حمزة، قال: كنت مع محمد بن علي، فسرنا من الطائف إلى أيلة بعد موت «ابن عباس» بزيادة على أربعين ليلة، وكان «عبد الملك» قد كتب لمحمد بن الحنفية عهداً على أن يدخل هو وأصحابه في أرضه حتى يصطلح الناس على رجلٍ، فلما قدم الشام بعث إليه «محمد بن علي» أن تؤمن أصحابي ففعل.

فقام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: الله ولي الأمور كلها، وحاكمها ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، إن كل ما هو آتٍ قريبٌ، عجلتم بالأمر قبل نزوله، والذي نفسي بيده! إن في أصلابكم لمن يقاتل مع آل «محمد» ما يخفى

(١) العقد الفريد (٣/١٥٦ ـ ١٥٨).

على أهل الشرك أمر آل «محمد»، فأمر آل «محمد» مستأخر،

والذي نفسي بيده! ليعودنَّ فيكم كما بدا، الحمد للَّه الذي حقن دماءكم، من أحب منكم أن يأتي مأمنه إلى بلده آمناً محفوظاً فليفعل، فانصرف عنه أصحابه، وبقي معه تسعمائة رجل، فأحرم بعمرة، وقلَّد هَدْياً، فقدم مكة ـ ونحن معه ـ فلما أردنا أن ندخل مكة تلقتنا خيل «ابن الزبير» فمنعتنا أن ندخل، وأرسل إليه «محمد بن علي»: لقد خرجت عنك، وما أريد أن أقاتلك، ورجعت وما أريد أن أقاتلك، دعنا فلندخل لنقضي نسكنا، ثم لنخرج عنك، فأبى ومنعنا الهَدْيَ.

فرجع «محمد بن علي» إلى المدينة، ورجعنا فكنا بالمدينة، حتى قتل «ابن الزبير» فخرج إلى مكة، وخرجنا معه، فنزل الشعب حتى قضينا نسكنا، وقد رأينا القمل يتناثر من «محمد بن علي».

فلما قضينا نسكنا، رجعنا إلى المدينة، فمكث «محمد بن علي» ثلاثة شهور، ثم توفي رحمه الله](١).

مرثيته لأخيه الحسين بن علي:

وقف «محمد بن الحنفية» على قبر «الحسين بن علي» فخنقته العبرة، ثم نطق فقال: يرحمك الله، أبا محمد! فلئن عزَّت حياتك فلقد هدَّت وفاتك، ولنعم الروح روح ضمَّه بدنك، ولنعم البدن بدنٌ ضمَّه كفنك، وكيف لا يكون كذلك، وأنت بقية ولد الأنبياء، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، غَذَّتْكَ أكف الحق، وربيت في حجر الإسلام، فطبت حيًّا وطبت ميِّتاً، وإن كانت نفوسنا غير طيبة بفراقك، ولا شاكة في الخيار لك(٢).

ملك الروم يهدِّد عبد الملك:

لما كتب ملك الروم إلى «عبد الملك» يهدِّده ويتوعَّده عجز عن الرد عليه، فكتب إلى «الحجاج» ليكتب إلى ابن الحنفية مهدِّداً، وبعث «ابن الحنفية» إلى «الحجاج» بردِّه، فأرسله إلى «عبد الملك» فتبنَّى الرد، ثم أرسله إلى ملك الروم، وقد جاء في الحلية: حدَّثنا أحمد بن محمد بن سنان، ثنا محمد بن إسحاق

(١) الحلية (٣ ـ ١٧٤ ـ ١٧٥).
(٢) الحلية (٣ ـ ٢٣٩ ـ ٢٤٠).

السراج الثقفي، ثنا عمر بن الحسين، ثنا أبي، ثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد عن لي بن الحسين، قال:

كتب ملك الروم إلى «عبد الملك بن مروان» يتهدَّده ويتوعَّده، ويحلف له ليحملنَّ له مائة ألف في البر ومائة ألف في البحر، أو يؤدي إليه الجزية، فسقط في درعه، وكتب إلى «الحجاج» أن اكتب إلى «ابن الحنفية» فتهدَّده وتواعده، ثم أعلمني ما يردُّ عليك.

فكتب «الحجاج» إلى «ابن الحنفية» بكتاب شديد يتهدَّده ويتواعده فيه بالقتل، قال: فكتب إليه ابن الحنفية: إن للَّه تعالى ثلاثمائة وستين لحظة إلى خلقه، وأنا أرجو أن ينظر الله عَزَّ وجلَّ إليَّ نظرة يمنعني بها منك، قال: فبعث «الحجاج» بكتابه، إلى «عبد الملك بن مروان» فكتب «عبد الملك بن مروان» إلى ملك الروم نسخته، فقال ملك الروم: ما هذا خرج منك، ولا أنت كتبت به، ما خرج إلا من نبوَّة[١].

من أقواله:

روى المنذر بن الربيع، عن أبيه، قال: قال محمد بن الحنفية: يا منذر! قلت: لبيك! قال: كل ما لا ينبغى به وجه الله تعالى يضمحل.

وروى الحسين بن عبد الرحمٰن، حدَّثني أبو عثمان المؤذِّن، قال: قال «محمد بن الحنفية»: من كرمت عليه نفسه، لم يكن للدنيا عنده قدر.

وروى محمد بن عبد المجيد، أنه سمع ابن عيينة يقول: قال «محمد بن الحنفية»: إن الله تعالى جعل الجنة ثمناً لأنفسكم، فلا تبيعوها بغيرها[٢].

بيعته لعبد الملك بن مروان:

قبل مصرع «عبد الله بن الزبير» على يد «الحجاج» الغاشم لزم «محمد بن الحنفية» جانب الحياد، وأبى أن يبايع «ابن الزبير» وخصمه «عبد الملك بن مروان»، غير أنه بعد أن علم باستشهاد «ابن الزبير» كتب إلى «عبد الملك بن مروان» يبايعه.

---

(١) الحلية: ٣/١٧٦).

(٢) الحلية (٣/١٧٦ ـ ١٧٧).

وقد أخرج «ابن عبد ربه» في «عقده» كتاب «ابن الحنفية» إلى «عبد الملك» ورد «عبد الملك» عليه، قال:

[وكتب «محمد ابن الحنفية» ببيعته لما قتل «ابن الزبير» وكان في كتابه: (إني اعتزلتُ الأمة عند اختلافها، فقعدت في البلد الحرام الذي من دخله كان آمناً، لأُحرِزَ ديني، وأمنع دمي، وتركت الناس: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤]. وقد رأيت الناس قد اجتمعوا عليك، ونحن عصابة من أمتنا لا نفارق الجماعة، وقد بعثت إليك منَّا رسولاً ليأخذ لنا منك ميثاقاً، ونحن أحق بذلك منك، فإن أبيت فأرض الله واسعة، والعاقبة للمتقين.

فكتب إليه «عبد الملك»: قد بلغني كتابك بما سألته من الميثاق لك، وللعصابة التي معك، فلك عهد الله وميثاقه ألَّا تُهاج في سلطاننا غائباً ولا شاهداً، ولا أحد من أصحابك ما وَفوا ببيعتهم، فإن أحببت المُقام بالحجاز فأقم، فلن ندع صلتك وبِرَّك، وإن أحببت المُقام عندنا فاشخص إلينا، فلن ندع مواساتك. ولعمري لئن ألجأتك إلى الذهاب في الأرض خائفاً لقد ظلمناك، وقطعنا رحمك، فاخرج إلى «الحجاج» فبايع، فإنك أنت المحمود عندنا ديناً ورأياً، وخير من «ابن الزبير» وأرضى وأتقى.

وكتب إلى «الحجاج بن يوسف»: لا تعرض لمحمد ولا لأحد من أصحابه، وكان في كتابه: جنبني دماء بني عبد المطلب، فليس فيها شفاء من الحرب ـ أي: الغضب ـ، وإني رأيت بني حَرْب سلبوا ملكهم لما قتلوا «الحسين بن علي»، فلم يتعرَّض «الحجاج» لأحد من الطالبيين في أيامه[1].

إسناده الحديث:

كان «محمد ابن الحنفية» أحد التابعين الذين أسندوا الحديث عن عدد من الصحابة الكرام، وعامة حديث «ابن الحنفية» عند أولاده.

ومن الذين رووا عنه: منذر الثوري، ومحمد بن قيس بن مخرمة، وعمرو بن دينار، وعبد الله بن محمد بن عقيل.

ومن مروياته ما ذكره سليمان بن أحمد، ثنا محمد بن محمد بن عقبة

(١) العقد الفريد (٤/ ٤٠٠ ـ ٤٠١).

الشيباني، ثنا الحسين بن علي، عن محمد بن الحنفية، أنه سمع أباه «علياً» ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**إن الله عز وجلَّ فرض للفقراء في أموال الأغنياء قدر ما يسعهم، فإن منعوهم حتى يجوعوا أو يعروا أو يجهدوا، حاسبهم الله فيه حساباً شديداً، وعذَّبهم عذابا نكراً**»[١].

وروى أبو حامد بن جبلة، ثنا أبو العباس، ثنا علي بن سعيد البغدادي، ثنا ضمرة بن ربيعة، عن سعيد بن الحسين، قال:

قال لي «محمد بن الحنفية» رحمه الله: (من كفَّ يده ولسانه، وجلس في بيته فإن ذنوب بني أمية أسرع من سيوف المسلمين)[٢].

وفاته:

بعد بيعة «محمد بن الحنفية» «لعبد الملك بن مروان» بزمنٍ يسير، دهمه المرض، ثم انتقل إلى لقاء ربِّه رحمه الله.

(١) الحلية (٣/ ١٧٨).

(٢) الحلية (٣/ ١٧٥).

٢٠ ـ أيوب السَّخْتياني

احتضنت البصرة نخبة من علماء التابعين، واستقطبت عدّة من الفقهاء والمحدِّثين، وكان من هؤلاء فقيه متواضع، ومحدِّث زاهد قانع، يقال له: «أيوب السختياني». ولد في البصرة سنة ست وستين، ونشأ على ترابها، نهل العلم في رحابها حتى صار سيد فقهائها، وأكبر علمائها.

نسبه وشهرته:

أبوه يدعى «أبا تميمة» واسمه «كيسان السَّخْتياني» وكنيته «أيوب» «أبو بكر». وهو محدِّثٌ، عدلٌ، رضاً، ثقة، وأحد الأثبات. وكان في حياته من الزاهدين، ورغم غناه في العلم فقد عرف بتواضعه الجمّ، وربما سئل عن مسألةٍ لا يعرف جوابها، فيقول لسائله: سل أهل العلم. وقد وصفه «الحسن البصري» فقال: هذا سيد الفتيان).

وقال صاحب الحلية: [حدَّثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى، قال: ثنا أبو العباس؛ محمد بن إسحاق، قال: ثنا المفضل بن غسان الغلالي، قال: ثنا فهد بن حيان، قال: ثنا سعيد بن راشد، قال: سمعت الحسن يقول: سيد شباب أهل البصرة «أيوب».

حدَّثنا أبو يعلى محمد بن أحمد بن الحسن، قال: ثنا بسر بن موسى، قال: ثنا الحميدي، قال: لقي سفيان بن عيينة ستة وثمانين من التابعين، وكان يقول: ما رأيت مثل «أيوب»][1].

وحتى نعلم أيَّ رجلٍ كان «أيوب» لنسمع ما نَعَتَه به أكابر العلماء، وقد أورد هذه النعوت صاحب الحلية فقال:

---

(١) الحلية (٣/ ٣).

[كان «محمد بن سيرين» إذا حدَّثه «أيوب» بالحديث يقول: حدَّثني الصدوق.

وكان «شعبة» يقول: حدَّثني «أيوب» سيد الفقهاء.

وكان «أشعث» يقول: كان «أيوب جِهْبذ العلماء.

وعن «سلام بن أبي مطيع» أنه ذكر الأربعة: «أيوب» و«يونس» و«ابن عون» و«سليمان» فقال: كان أفقههم في دينه «أيوب».

وقال «هشام بن عروة»: لم أرَ في البصريين مثل «أيوب».

وقال «سليمان بن جنادة» سمعت حفص بن غياث، يقول: سمعت هشام بن عروة يقول: ما قدم علينا من العراق أحد أفضل من ذلك «السختياني أيوب»[(١)].

قال أيوب السختياني: طُلِبَ «أبو قلابة» لقضاء البصرة، فهرب إلى الشام، فأقام حيناً، ثم رجع، قال أيوب: فقلت له: لو وليت القضاء وعدلت كان لك أجران، قال: يا أيوب! إذا وقع السابح في البحر، كم عسى أن يسبح[(٢)].

كثرة بكائه:

كان «أيوب السختياني» كثير البكاء، وقد شهد بذلك الإمام «مالك» رحمه الله، فقد روى حبيب بن الحسن، قال: ثنا يسر بن أنس البغدادي، قال: ثنا أبو يونس المديني، قال: حدَّثني «إسحاق بن محمد، قال: سمعت مالك بن أنس، يقول: كنا ندخل على «أيوب السختياني»، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ، بكى حتى نرحمه[(٣)].

وكان الناس يتلهَّفون للقاء «أيوب» وسماع ما يرويه من الأحاديث الشريفة. فقد روى محمد بن المظفر، قال: ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بمصر، قال: ثنا عبد الله بن شبيب، قال: حدَّثني أيوب بن سليمان بن بلال، قال: قلت لعبيد الله بن عمر: أراك تتحرَّى لقاء العراقيين في الموسم، قال: فقال: والله ما أخرج في سَنَتي إلا أيام الموسم ألقى أقواماً قد نوَّر الله قلوبهم بالإيمان، فإذا

(١) الحلية (٣/ ٤).
(٢) العقد الفريد (١/ ٢٠).
(٣) الحلية (٣/ ٤).

رأيتهم ارتاح قلبي، منهم «أيوب»[١].

ضبطه للعلم:

وكان «أيوب» واحداً من الفقهاء الذين يضبطون العلم ويتثبَّتون فيه، وقد سأله شعبة عن حديث، فقال له: أشك فيه، فقال له «شعبة»: شكُّك أحب إليَّ من يقيني. وفي هذا دليلٌ بيِّنٌ على ثقة العلماء بحديثه، وجودة روايته.

رأيه في الزهد:

كان «أيوب» يحب الزهد والزاهدين، ويرغب في ستر زهده عن الناس، ولا يتوخى الشهرة. وقد أخرج «أبو نعيم» في حليته، قال: [حدَّثنا سليمان بن أحمد، قال: ثنا سهل بن موسى، قال: ثنا محمد بن سفيان بن أبي الزرد، قال: ثنا سعيد بن عامر، قال: سمعت وهيباً يقول: سمعت «أيوب» يقول: (إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل).

حدَّثنا سليمان بن أحمد، قال: ثنا الحسن بن سهل المجوز، قال: ثنا أبو عاصم النبيل، قال: ثنا سفيان، عن أيوب، قال: (وددت أني أنفلت من هذا الأمر كفافاً - يعني من الحديث).

حدَّثنا سليمان بن أحمد، قال: ثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: ثنا زكريا بن يحيى المنقري، قال: ثنا الأصمعي، قال: ثنا حماد بن زيد قال: كان «أيوب» صديقاً ليزيد بن الوليد، فلما ولي الخلافة، قال: (اللهم! أنسه ذكري).

حدَّثنا محمد بن علي، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: كان «أيوب» يقول: ليتق الله عَزَّ وجلَّ رجل، وإن زهد فلا يجعلن زهده عذاباً على الناس، فلأن يخفي الرجل زهده خير من أن يعلنه، وكان «أيوب» ممن يخفي زهده، فدخلنا عليه مرةً، فإذا على فراشه محجس أحمر فرفعته أو رفعه بعض أصحابنا فإذا خصفة محشوَّة بليف.

حدَّثنا أحمد بن جعفر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثني أبي، قال: ثنا حجاج، قال: سمعت «شعبة» يقول: ربما ذهبت مع

---

(١) الحلية (٣/ ٤).

«أيوب» في الحاجة، أريد أن أمشي معه، فلا يدعني، فيخرج، فيأخذ هَهُنا وهَهُنا لكي لا يفطن له.

قال شعبة: وقال أيوب: ذكرتُ وما أحب أن أذكر.

حدَّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: ثنا أحمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن إبراهيم، قال: ثنا أحمد بن كردوس، قال: ثنا محلد، عن أبي بكر بن المفضل، قال: سمعت «أيوب» يقول: والله، ما صدق عبد إلا سرَّه ألاَّ يشعر بمكانه.

حدَّثنا أبو حامد بن جبلة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: كتب إليَّ عبد الرزاق، عن معمر، قال: كان في قميص «أيوب» بعض التذييل[1] فقيل له: فقال: الشهرة اليوم في التشمير.

حدَّثنا أحمد بن جعفر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: وجدت في كتاب أبي: ثنا أبو معاوية الغلابي، قال: بلغني عن سلام بن أبي حمزة، وكان يجالسنا، قال: سمعت «أيوب» يقول:

الزهد في الدنيا ثلاثة أشياء: أحبها إلى الله، وأعلاها عند الله، وأعظمها ثواباً عند الله تعالى، الزهد في عبادة من عُبِدَ دون الله، من كل ملك، وصنم، وحجر، ووثن، ثم الزهد فيما حرَّم الله تعالى من الأخذ والإعطاء. ثم يقبل علينا، فيقول: زهدكم هذا، يا معشر القرَّاء! فهو والله، أخسُّه عند الله، الزهد في حلال الله عَزَّ وجلَّ.

حدَّثنا عبد الله بن محمد، قال: ثنا أحمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن إبراهيم، قال: ثنا محمد بن سالم، عن حمزة بن أبي عمير، عن أبيه، قال: بينما «أيوب» يمشي بيني وبينه إنسان قد سمَّاه إذ وقف، فقال: إنما يحمد الناس على عافية الله إياهم وستره، وما يبلغ عملنا كله جزاء شربة ماءٍ بارد شربها أحدنا وهو عطشان، فكيف بالنعم بعد؟][2].

(١) التذييل: التطويل.
(٢) الحلية (٣/ ٥ ـ ٧).

عبادته وكرمه وتواضعه:

روى أبو زرعة؛ محمد بن إبراهيم الاستراباذي، قال: ثنا أبو بكر محمد بن قارن، قال: ثنا أبو حاتم، قال: ثنا عبيدة بن سليمان، عن مخلد بن حسين، عن هشام بن حسان، قال: حج «أيوب السختياني» أربعين حجة.

وروى فاروق الخطابي، قال: ثنا هشام بن علي السيرافي، قال: ثنا محمد بن الحسن؛ أبو عبد الله العنزي، قال: ثنا عبيد الله بن شميط، قال: ثنا عبيد الله بن شميط، قال: سمعت أيوب السَّختياني، وهو يقول: لا يستوي العبد ـ أو لا يسود العبد ـ حتى يكون فيه خصلتان: اليأس مِمَّا في أيدي الناس، والتغافل عمَّا يكون منهم[١].

وروى سليمان بن أحمد، قال: ثنا أحمد بن محمد بن صدقة، قال: ثنا زيد بن أخزم، قال: ثنا سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، قال: كان «أيوب» إذا قدم من مكة أمر بجرادق، فخبزت وطبخ لحماً سكباجاً، فكان كل من جاء يسلِّم عليه وضع بين يديه، قال: فوضع بين أيدينا، فقال: كلوا فقد أكلت اليوم بضع عشرة مرة ـ يعني كل من جاء قعد فأكل معه ـ[٢]. وهذا من تكريمه للضيف.

وعن أبي حامد بن جبلة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي زرعة، قال: ثنا النضر بن شميل، قال: ثنا صالح بن أبي الأخضر، قال: قلت لأيوب: أوصني، فقال: أَقِلَّ الكلام.

وروى أبو حامد بن جبلة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا داود بن رشيد، قال: ثنا معمر بن سليمان، قال: ثنا عبد الله بن بشر، قال: إن الرجل ربما جلس إلى «أيوب السختياني» فيكون لما يرى منه أشد اتباعا منه لو سمع حديثه[٣].

وروى أبو حامد بن جبلة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا محمد بن الصَّباح، قال: ثنا سعيد بن عامر، عن سلام، قال: كان «أيوب السختياني» يقوم الليل كله فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة.

---

(١) الحلية (٣/ ٥).
(٢) الحلية (٣/ ١٠).
(٣) الحلية (٣/ ٧).

وروى أبو بكر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثني هارون بن عبد الله، قال: ثنا سيار، قال: قلت لبكر بن أيوب: يا أبا يحيى! كأن أبوك يجهر بالقرآن من الليل؟ قال: نعم، جهراً شديداً، وكان يقوم السحر الأعلى[١].

كرهه التكلم بالرأي:

وعن سليمان بن أحمد، قال: ثنا علي بن عبد العزيز، قال: ثنا عارم، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: سئل أيوب عن شيءٍ، فقال: لم يبلغني فيه شيء، فقيل له: قل فيه برأيك، فقال: لا يبلغه رأيي.

وروى أحمد بن جعفر، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثني أبو المعتمر البصري، قال: ثنا بشر بن منصور، قال: كنا عند أيوب، فَلَغَطْنا وتكلَّمنا، فقال لنا: كفُّوا، لو أردت أن أخبركم بكل شيء تكلَّمت به اليوم لفعلت.

وروى محمد بن أحمد بن الحسن، قال: ثنا جعفر الفريابي، قال: ثنا أحمد بن إبراهيم قال: ثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: سمعت «أيوب»، وقيل له: مالك لا تنظر في هذا ـ يعني الرأي ـ؟ فقال «أيوب»: قيل للحمار: ألاَ تجتر؟ فقال: أكره مضغ الباطل[٢].

وكان «أيوب» يحب التوسعة على العيال لمن وسَّع الله عليه، فقد روى أبو محمد بن حيان، قال: ثنا أحمد بن نصر، قال: ثنا أحمد الدورقي، قال: حدَّثني يحيى العبدي، قال: ثنا حماد، قال: رأيت «أيوب» لا ينصرف من سوقه إلا معه شيءٌ يحمله لعياله، حتى رأيت قارورة الدهن بيده يحملها، فقلت له في ذلك، فقال: إني سمعت «الحسن» يقول: إن المؤمن أخذ عن الله عَزَّ وجَلَّ أدباً حسناً، فإذا أوسع عليه أوسع، وإذا أمسك عليه أمسك[٣].

حبّه أهل السنّة:

روى أحمد بن محمد الصائغ، قال: ثنا أبو العباس السراج، قال: ثنا

---

(١) الحلية (٣/ ٨).
(٢) الحلية (٣/ ٨).
(٣) الحلية (٣/ ٩).

محمد بن عمرو الباهلي، قال: سمعت ابن عيينة يقول: قال «أيوب»: إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السنَّة فكأنما يسقط عضو من أعضائي.

وروى أحمد بن الصائغ، قال: ثنا أبو العباس السراج، قال: سمعت أبا سعيد الأشج يقول: حدَّثنا أبو أسامة، عن حماد بن زيد، عن أيوب أنه قال: ليبلغني أن الرجل من أهل السنَّة مات، فكأنما أفقد بعض أعضائي[١].

حبّه مجالسة الناس وكرهه للقصص:

وروى أبو حامد بن جبلة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا محمد بن حسان الأزرق، قال: ثنا ابن مهدي، عن حماد بن زيد، قال: قال لنا أيوب: إنك لا تبصر خطأ معلمك حتى تجالس غيره، جالس الناس.

وكان يكره القُصَّاص لما يَرِدُ في أقوالهم من الأكاذيب والافتراءات، فقد روى الحسن بن علي الوراق، قال: ثنا الهيثم بن خلف الدوري، قال: ثنا قاسم بن أحمد بن معروف، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن أيوب، قال: ما أفسد على الناس حديثهم إلا القُصَّاص[٢].

من فضائله:

روى فاروق الخطابي، قال: ثنا هشام بن علي السيرافي، قال: ثنا عون بن الحكم بن سنان الباهلي، قال: سنان حماد بن زيد، قال: غدا علي «ميمون أبو حمزة» يوم الجمعة قبل الصلاة، قال: فقال: إني رأيت البارحة «أبا بكر» و«عمر» في النوم، فقلت لهما: ما جاء بكما؟ قالا: جئنا نصلي على «أيوب السختياني».

قال: ولم يكن علم بموته، فقلت له: قد مات «أيوب» البارحة[٣].

وقال أبو نعيم في حليته: [حدَّثنا أبو عمر وعثمان بن محمد العثماني، قال: حدَّثنا خالد بن النضر القرشي، قال: ثنا محمد بن موسى الحرشي، قال: ثنا النضر بن كثير السعدي، قال: ثنا عبد الواحد بن زيد، قال:

كنت مع «أيوب السختياني» على حِراء، فعطشت عطشاً شديداً، حتى رأى

(١) الحلية (٣/ ٩).
(٢) الحلية (٣/ ١١).
(٣) الحلية (٣/ ٥).

ذلك في وجهي، فقال: ما الذي أرى بك؟ قلت: العطش، وقد خفت على نفسي، قال: تستر عليَّ؟ قلت: نعم، قال: فاستحلفني، فحلفت له ألَّا أُخبر عنه ما دام حيًّا، قال: فغمز برجله على «حِراء» فنبع الماء، فشربت حتى رويت، وحملت معي من الماء، قال: فما حدَّثت به أحداً حتى مات.

قال عبد الواحد: فأتيت موسى الإسواري، فذكرت له ذلك، فقال: ما بهذه البلدة أفضل من «الحسن» و«أيوب»[(١)].

وروى سليمان بن أحمد، قال: ثنا علي بن عبد العزيز، قال: ثنا عارم أبو النعمان، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ما رأيت رجلاً قط أشد تبسُّماً في وجوه الرجال من أيوب[(٢)].

كرهه لأصحاب البدع:

وعرف «أيوب» كرهه لأصحاب البدع، فقد روى عبد الله بن محمد، قال: ثنا أبو بكر بن راشد، قال: ثنا أبو سعيد الأشج، قال: ثنا يحيى بن عايد، عن مخلد بن حسين، عن هشام بن حسان، عن أيوب السختياني، قال: ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً، إلا ازداد من الله بعداً[(٣)].

وروى سليمان بن أحمد، قال: ثنا محمد بن محمد الجذوعي، قال: ثنا هُدْبَة بن خالد، قال: ثنا سلام بن مسكين، قال: سمعت «أيوب» يقول: لا خبيث أخبث من قارىء فاجر[(٤)].

وروى سليمان بن أحمد، قال: ثنا عباس الأسْفَاطي، قال: ثنا موسى بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، قال: سمعت «أيوب» يقول: إن قوماً يتنعَّمون، ويأبى الله إلا أن يضعهم، وإن أقواماً يتواضعون، ويأبى الله إلا أن يرفعهم[(٥)].

وعن سليمان بن أحمد، قال: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثني من سمع حماداً يقول: رأيت «أيوب» وضع يده على رأسه،

(١) الحلية (٣/ ٥).
(٢) الحلية (٣/ ٨).
(٣) الحلية (٣/ ٩).
(٤) الحلية (٢/ ١١).
(٥) الحلية (٣/ ١٠).

وقال: «الحمد للَّه الذي عافانا من الشرك»، ليس بيني وبينه إلا أبو تميمة ـ يعني أباه[١].

تقديمه حاجة أهله:

كان «أيوب» يقدِّم حاجة أهله على لقاء أصحابه حتى لا يكون ذهنه مشغولاً إلا فيما يحدِّثهم به، فقد روى محمد بن علي بن حبيش، قال: ثنا أحمد بن القاسم بن مساور الجوهري، قال: حدَّثني بشار ـ يعني الخفاف، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: قال لنا أيوب: لو احتاج أهلي، إلى دَسْتَجة ـ حزمة بقل، لبدأت بها قبلكم، قال: وقال لنا «أيوب»: الزم السوق، فإن الغنى من العافية[٢].

وروى سليمان بن أحمد، قال: ثنا حماد بن علي الأحمر، قال: ثنا غر بن قادم، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: قال لي أيوب: الزم سوقك فإنك لا تزال كريماً على إخوانك ما لم تحتج إليهم[٣].

من أقوال أيوب:

عن سلام بن أبي مطيع، عن أيوب، قال: إني أظن الثناء يضاعف كما تضاعف الحسنات.

وعن محمد بن إسحاق، قال: ثنا أحمد بن الحسن بن خراش، قال: ثنا سليمان بن حرب، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: سمعت «أيوب» يقول: (إذا لم يكن ما تريد، فأرد ما يكون)[٤].

إسناده للحديث:

أسند «أيوب» عدداً كبيراً من الأحاديث عن «أنس بن مالك» وغيره من الصحابة.

كما روى عن عدد من التابعين، أمثال: «ابن سيرين» و«أبي قلابة» و«الحسن البصري» و«أبي العالية» و«أبي عثمان النهدي».

---

(١) الحلية (٣/ ١١).
(٢) الحلية (٣/ ١٠).
(٣) الحلية (٣/ ١١).
(٤) الحلية (٣/ ١٢).

ومن مروياته: عن معمر، عن أيوب، عن القاسم بن محمد، عن عائشة: أن النبي ﷺ: كان إذا رأى الغيث، قال: «**اللهم صيِّباً هنيئاً**».

وعن أيوب السختياني، عن عمرو بن دينار، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فيما يروي الحكم، قال: «**ثلاثة مضمونون على الله عَزَّ وجَلَّ: الحاج، والمعتمر، والغازي في سبيل الله عَزَّ وجَلَّ حتى يردَّهم الله تعالى بالأجر والغنيمة، أو يتوفاهم فيدخلهم الجنة**».

وعن أيوب السختياني، عن عمرو بن دينار، عن جابر: أن النبي ﷺ صلى على «النجاشي» فكبَّر عليه أربعاً.

وعن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تفخروا بآبائكم الذين ماتوا في الجاهلية، فوالذي نفسي بيده لما يدحرج الجُعَلُ بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية**».

وفاته:

توفي «أيوب السختياني» بالطاعون الذي ضرب مدينة البصرة سنة إحدى وثلاثين ومائة للهجرة، ودفن بها رَحِمَهُ اللَّهُ.

obeikandl.com